الحجة الدامغة

لشبهات المجسمة الزائغة

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

الحجة الدامغة

لشبهات المجسمة الزائغة

بقلم

العلامة المفسر المحدث الشيخ حسين سامي بدوي

المولود سنة ١٣٢٠هـ والمتوفى سنة ١٣٦٢هـ

رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، والصلاة والسلام على سيد ولد آدم سيدنا محمد وآله، ورضي الله عن أصحابه والتابعين الذين حملوا لواء التنزيه، وردوا على أهل التشبيه، ووقفوا في وجه كل من وقع في التجسيم، وحاد عن الصراط المستقيم.

وبعد:

فهذه رسالة جديدة، لعالم أزهريّ كبير، هو الشيخ حسين سامي بدوي المتوفى سنة ١٣٦٢هـ رحمه الله تعالى، سبق أن نُشِرت في بعض المجلات الإسلامية الذائعة الصِّيتُ. أحببنا إحياءها ونشرها تعميماً لنفعها، وإحياءً لأثر علمي فريد من عالم من كبار العلماء الأزهريين.

وهذه الرسالة حلقة من سلسلة متتابعة في الذَّوْد عن حياض الدين، والرد على شبه المشبِّهين، وتجسيم المجسمين.

وكلُّنا أملٌ ورجاء أن تلقى هذه الرسالة ـ وغيرها مما عزمنا على نشره ـ قبولًا وانتشاراً، في وقت سكت فيه أهل الحق عن الجهر به، خوفاً وتملقاً ومداهنة وحرصاً على الوظائف والمناصب، وحضور المؤتمرات، والمشاركة في الندوات!!

وقد كانت هذه الرسالة رداً على الدعاة المنتسبين إلى السلف بزعمهم من (أنصار السنة).

وقد تصدى لهؤلاء كبار علماء الأزهر الذين عُرفوا بالعلم العميق، والفهم الواسع الدقيق لكتاب الله سبحانه وسنة رسوله ﷺ.

والأمل معقود على علماء الأزهر الثقات العدول أن ينفوا عن هذا العلم تحريف الغالين، وتأويل الجاهلين، ومزاعم المبطلين، وشبهات المشبهين.

ونسأل الله سبحانه أن ينفع بهذه الرسالة القيّمة، وأن يجزي مؤلفها خير الجزاء، ويغدق على قبره شآبيب الرحمة والمغفرة والرضوان.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وسلم.

الناشر

ترجمة المؤلف
حسين سامي بدوي

هو العلامة المفسِّر المحدِّث حسين سامي بدوي الشافعي، ووالده الشيخ علي بدوي.

ولد ـ رحمه الله تعالى ـ في حدود سنة ١٣٢٠هـ، وتوفي سنة ١٣٦٢هـ = ١٩٤٣م وهو في العقد الرابع من عمره.

تخرّج من الأزهر الشريف، ونال الدكتوراه من التخصُّص القديم، واشتغل بالتدريس في معهد القاهرة.

وقد اشتغل بالمحاماة الشرعية مدة قبل التدريس، وكان من المشتغلين بتحقيق المسائل العلمية والدينية، وله مقالات دينية قيّمة في كثير من المجلات الإسلامية والصحف كالهداية، والإسلام، والتقوى، والشفق، ومكارم الأخلاق، والنذير، والشبان المسلمين، ومجلة نشر الفضائل والآداب الإسلامية التي تولى رئاسة تحريرها.

وله أثر بارز في الجماعات الإسلامية التي تطوَّع في خدمتها والعمل على تحقيق أهدافها.

وكان ـ رحمه الله تعالى ـ يحاضر بانتظام في الموضوعات الدينية بقاعة المحاضرات في جمعية المحافظة على القرآن الكريم بالجيزة.

من مؤلفاته المطبوعة:

١ ـ قصة سيدنا داود.

٢ ـ هداية القرآن.

٣ ـ حقوق المرأة وواجباتها.

إلى مئات من المقالات العلمية الممتعة التي لو جمعت لخرجت في أكثر من ثلاث مجلدات[١].

(١) «الأعلام الشرقية» للأستاذ زكي مجاهد ١: ٣٠٤.

١ ــ المجسمة والمشبهة[١]

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾

تمهيد:

لم يكن أحدٌ من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين يشتبه في صفات الله تعالى، ولا في كونه تعالى مخالفاً للحوادث في ذاته وصفاته، فكانوا يؤمنون بتنزهه ـ تبارك اسمه وتعالت صفاته ـ عن صفاتِ خلقه، ويعتقدون أن كل ما يتخيّله الذهن أو يصوِّره الوهم فإن الله عز وجل مخالف له: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

وقد حملهم الورع والاحتياط للدين على الإمساك عن الخوض في معاني الآيات المتشابهة التي أُسند فيها إلى الله تعالى ما يوهم ظاهره التشبيه عند من لا يفهمون مقاصد القرآن الكريم، ولا أسرار التراكيب العربية، ومناحيها المختلفة في التعبير عن الأغراض الدقيقة، حذراً من أن يكونوا ممن يتبعون ما تشابه من الكتاب الذين حذَّر منهم رسول الله ﷺ، ونصَّ الله تعالى في كتابه على أن في قلوبهم زيغاً، فكانوا يؤمنون بأنَّ النصَّ القرآني نزل من عند الله ولكنهم لا يقطعون في تأويله بمعنى، بل يفوِّضون

(١) السنة الثامنة، العدد ٢٥ سنة ١٣٥٨هـ = ١٩٣٩م.

علم حقيقة معناه والمراد به إلى الله تعالى مع اعتقادهم تنزهه تعالى عن مشابهة خلقه، ولا يخوضون في تأويله لأن الله تعالى لم يكلفنا إلا بالإيمان بهذه النصوص، وكان ذلك عندهم هو الرسوخ في العلم، لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ أي المحكم والمتشابه كلاهما أوحي إلى النبي ﷺ من عند الله، فنؤمن بمحكمه ونعمل به لأنه أمُّ الكتاب وأصله الذي يرجع إليه في الاعتقاد والعمل، ونؤمن بمتشابهه ونمسك عن الخوض في تأويله حذراً من الزيغ والزلل مع اعتقاد أنه متفق مع الأصل المحكم فيما يدل عليه من تنزيه الله تعالى عن مشابهة خلقه، لأنَّ القرآن الكريم يصدِّق بعضه بعضاً، ولا ينقض بعضه بعضاً آخر منه ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾.

فكانت عقيدتهم تنزيهية خالصة من شوائب التجسيم والتشبيه الذي ابتليت به الأمة فيما بعد على أيدي طائفة من غلاة الشيعة والروافض والكرامية وغيرهم من أرباب الأهواء الخبيثي الاعتقاد، وكان القرآن الكريم في نظرهم وحدة يصدق بعضها بعضاً، ويدل بجملته على ما أراد الله من عباده منه، وكانوا لقوة إيمانهم، وإشراق بصائرهم، وطهارة قلوبهم، وحِدَّةِ أذهانهم، ومعرفتهم بأسرار لغتهم وأساليب كتاب ربهم أسمى من أن يتطرَّق إلى قلوبهم اعتقاد باطل ينقضه القرآن الكريم جملة وتفصيلًا.

وإنك لتعلم مقدار احتياطهم لعقيدتهم ونفرتهم من البحث في معاني المتشابهات وعدِّهم ذلك من باب الفضول العلمي الذي لم يكلفنا الله تعالى به، تعلم ذلك من الخطبة التي خطبها عليّ

كرّم الله وجهه وقد سُئِلَ أن يصف الله تعالى ـ حتى كأنه يرى عياناً ـ فقال رضي الله عنه، بعد أن حمد الله وأثنى عليه وأشاد بنعمه على خلقه: «فانظر أيها السائل، فما دلَّكَ القرآنُ عليه من صفته فائتمَّ به، واستضئ بنور هدايته، وما كلفك الشيطان علمه مما ليس في الكتاب عليك فرضه، ولا في سنة النبي ﷺ وأئمة الهدى أثره، فكِلْ عِلمَهُ إلى الله سبحانه، فإن ذلك منتهى حقِّ الله عليك، واعلم أنَّ الراسخين في العلم هم الذين أغناهم عن اقتحام السدد المضروبة دون الغيوب، الإقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب، فمدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علماً، وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخاً، فاقتصر على ذلك، ولا تقدر عظمة الله على قدر عقلك فتكون من الهالكين» إلى أن قال: «وأشهد أن من شبهك بتباين أعضاء خلقك، وتلاحم حقاق مفاصلهم المحتجبة لتدبير حكمتك، لم يعقد غيب ضميره على معرفتك، ولم يباشر قلبه اليقين بأنه لا ندّ لك، وكأنه لم يسمع تبرأ التابعين من المتبوعين إذ يقول: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ كذب العادلون بك إذ شبهوك بأصنامهم، ونحلوك حلية المخلوقين بأوهامهم، وجزؤوك تجزئة المجسمات بخواطرهم، وقدروك على الخلقة المختلفة القوى بقرائح عقولهم، وأشهد أن من ساواك بشيء من خلقك فقد عَدَل بك، والعادلُ بك كاذب بما تنزَّلت به محكمات آياتك، ونطقت عنه شواهد حجج بيناتك، وإنك أنت الله الذي لم تتناه في العقول فتكون في مهب فكرها مكيفاً، ولا في رويات خواطرها فتكون محدوداً مصرفاً».

تمثل لنا هذه الخطبة عقيدة التنزيه السلفية التي كان عليها المسلمون في ذلك العصر الذهبي قبل أن تنشأ بدع الكرامية وغلاة المشبهة والمجسمة، فكان المسلمون إذ ذاك على منهاج واحد في الاعتقاد، يؤمنون بالله بدون تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل، ويعتقدون ما تدل عليه المحكمات، ويمسكون عن الخوض في المتشابهات إمساك الورِع المستبرئِ لدينه من الشبه والزيغ، وكانت دلائل التنزيه والنصوص المحكمة تمنعهم من أن يتوهموا من الآيات المتشابهات تشبيهَ الله بخلقه، لذلك ما كانوا يحملون ألفاظها على معانيها المعروفة في عالم الخلق ـ كما فعل الكرامية ـ كيف وإن بعض القرائن لفظية أو معنوية تمنع في لغتهم حمل اللفظ على معناه الحقيقي المتعارف، فكيف إذا كانت الأدلة الصريحة القاطعة تحيله؟

يؤيد ما تقدم ـ وهو أنَّ مذهب السلف تنزيه الله تعالى عن مشابهة خلقه ـ ما رواه اللالكائي الحافظ في كتاب «السنة» من طريق قرة بن خالد عن الحسن البصري عن أمه خَيْرة مولاة أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾: «الاستواء معلوم[1]، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، والبحث عنه كفر»، وهذا له حكم المرفوع لأنه مثله لا يقال من قبل الرأي.

وفي لفظ آخر قالت: «الكيف غير معقول، والاستواء غير

(١) أي معلوم وروده وذكره في كتاب الله تعالى، أما كيفيته فمجهولة، وهذا هو المعنى الصحيح الذي يستقيم مع قولها رضي الله عنها: «والكيف مجهول» ومن ذلك يعلم فساد قول المجسمة والحشوية.

مجهول[1]، والإقرار به من قبل الإيمان، والجحود به كفر».

فأنت ترى أن أم المؤمنين رضي الله عنها تقول بصريح العبارة إن كيفية استواء الله تعالى على عرشه مجهولة لا يمكن أن تتطاول العقول إلى معرفتها، وإن السؤال عنها بدعة لم تكن معروفة في زمن النبي ﷺ ولا عند أحد من الصحابة الكرام رضي الله عنهم إذ كانوا جميعاً يعتقدون أن الله منزَّهٌ عن مشابهة خلقه، ويكتفون من أمثال هذه النصوص بما تدل عليه إجمالًا من عظمة الله وقهره لخلقه. وتصريحها بأن الكيفية مجهولة أنفذ سهم في نحور المجسّمة الذين خالفوا المعقول والمنقول وجانبوا الحق والصواب في تفسيرهم الاستواء بالاستقرار والجلوس تعالى الله عما يقول الأفَّاكون علواً كبيراً، ولعل أمَّ سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها بلغتها شبهة عن بعض التابعين في فهم أمثال هذه النصوص فأرادت أن تقرر قاعدة للمسلمين يسيرون على ضوئها كلما أشكل عليهم فهم آية من الآيات المتشابهة، وهي أن يؤمنوا بالنص كما ورد، وأن يفوِّضوا علم حقيقة معناه إلى علام الغيوب، وبذلك يستبرئون من الشبه المضلة، ولا يدخلون في عداد الفرق الزائغة.

ولقد كان الأئمة الأعلام من فقهاء هذه الأمة وكبار محدثيها كمالك والشافعي وأحمد والأوزاعي وإسحاق وغيرهم على هذا النهج في الإيمان بالمتشابه مع التنزيه والتفويض وعدم القطع بمعنى هو مراد الله تعالى، والمأثور من أقوالهم يدل دلالة صريحة

---

(١) لوروده في القرآن الكريم على المعنى الذي يناسب قدسية الله تعالى وكماله.

على أنهم كانوا جميعاً على عقيدة التنزيه، فقد أخرج اللالكائي في «السنة» والبيهقي في «الأسماء والصفات» أن ربيعة (شيخ الإمام مالك) سُئِلَ عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ كيف استوى؟ فقال: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التصديق».

وأخرجا أن مالكاً (إمام دار الهجرة رضي الله عنه) سئل هذا السؤال أيضاً فوجد وجداً شديداً وأخذته الرحضاء، ولما سُري عنه قال للسائل: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعاً»، فأمر به أن يخرج، وفي رواية أنه قال: «الرحمن على العرش استوى كما وصف نفسه، ولا يقال له كيف، وكيف عنه مرفوع، وأنت رجل سوء صاحب بدعة».

وأخرج البيهقي في «الأسماء والصفات» عن سفيان بن عيينة قال: «ما وصف الله تعالى به نفسه فتفسيره قراءته ليس لأحد أن يفسره إلا الله تبارك وتعالى أو رسله عليهم الصلاة والسلام»، ومراده أن يفوِّض الإنسان علم ما جهله من نصوص القرآن التي يوهم ظاهرها ما يتنافى مع التنزيه الذي تدل عليه الآيات المحكمات إلى الله تعالى، ومن ذلك يتَّضح لك كذب الأدعياء من المجسمة الذين ادعوا أن نحلتهم الباطلة هي التي كان عليها السلف الصالح، والسلف رضي الله عنهم براء مما يفترون.

مما تقدم يتبين لك أن السلف الصالح رضي الله عنهم من الصحابة والتابعين وأئمة الفقهاء والمحدثين ما كانوا يأخذون بظواهر النصوص المتشابهة كما يفعل المجسِّمة، وإنما كانوا

يفوِّضون معناها إلى علام الغيوب، وهذا تأويلٌ إجمالي لأن التفويض معناه أن ظواهر الآيات ليست مرادة، وإنما أمسكوا عن التأويل التفصيلي ورعاً منهم واحتياطاً للدين، وهم بهذا التأويل الإجمالي يوافقون ما ذهب إليه المتكلمون من أهل السنة والجماعة والمتأخرون من علماء الأمة على وجوب صرف الآيات المتشابهة عن ظواهرها، وعلى تنزيه الله تعالى عن مشابهة خلقه، وليس بين الفريقين فرق إلا أن المتكلمين والمتأخرين أوَّلوا أمثال هذه النصوص تأويلًا تفصيلياً بحسب ما تدل عليه الأساليب العربية وترشد إليه القرائن، أي أنهم سلَّطوا المحكمات على المتشابهات وأجروا الجميع على نَسَق واحد في الدلالة على تنزيهِ اللَّهِ تعالى وخرَّجوا المتشابهات على أنها مجازات أو كنايات عن معان تليق بكمال الله تعالى وقدسيته، وأما السلف فأمسكوا عن ذلك مع علمهم بأن القرآن الكريم جاء على أساليب العرب ومناحيها في بيانها مبالغة منهم في الورع والاحتياط.

ظهور البدع والأهواء:

انقضى عصر الصحابة الكرام رضي الله عنهم، والمسلمون على خير ما ينبغي أن يكونوا عليه اعتقاداً وعلماً وعملًا وتقوى وزهداً وورعاً واحتياطاً للدين، ونهج التابعون نهجهم، واستنُّوا بسنتهم، واتبعوهم بإحسان في خير ما كانوا عليه من الهدى والرشاد، فلما كان آخر عهد بني أمية وأوائل عصر بني العباس كان الإسلام قد اتَّسعت رقعته، وامتد رواقه، وانبسطَ سلطانُه على كثيرٍ من الأمم التي كانت قبل الاهتداء به تتخبط في دياجير الضلال، ودخل في الإسلام طوائف من أجناس مختلفة كالفرس

والروم واليهود وغيرهم يحملون في أدمغتهم وقلوبهم أثارة مما كانوا عليه من معتقدات باطلة، ولم يكن أكثرهم يحسنون فهم لغة القرآن الكريم، وكان فيهم من دخل في الإسلام رغبة في الكيد له، وإفساده على أهله من طريق الدس والكذب ووضع الروايات الباطلة بعد أن عجزوا عن مقاومته بالقوة، فلا جرم أن نجم فيهم كثير من البدع والأهواء في الاعتقاد كان منشؤها أموراً شتى، منها التباس معتقداتهم القديمة بمعتقداتهم الجديدة، والجهل بهدي السلف الصالح رضي الله تعالى عنهم، والجهل بأسرار لغة القرآن ومناحيها المختلفة في التعبير عن المقاصد الدقيقة.

ـ ومنها ما كان في قلوب بعضهم من الضغينة على الإسلام وحب الكيد له، وأغلب ظنّي أن اليهود ما دخلوا في الإسلام إلا لذلك الغرض، ولذلك كثر من مسلمتهم وضع الحديث كذباً على رسول الله ﷺ وترويج مذهب التجسيم الذي هو من طباع اليهود.

ـ ومنها الافتتان بكثرة ما رواه الحشوية من شذاذ المحدثين الذين جعلوا همهم التكثر من رواية الحديث دون أن يفقهوه أو يميزوا صحيحه من عليله.

ـ ومنها حب الرياسة والزعامة ولو في الباطل، إلى غير ذلك من الأسباب التي تعرف بمراجعة تواريخ الفرق الضالة وتواريخ رؤسائها الحاملين لأكبر أوزارها.

وكان من أفحش تلك الضلالات ضلالات المعطلة من الجهمية، وضلالات المجسّمة من غلاة الشيعة والروافض والكرامية ومن وافقهم على نحلهم الباطلة من الفرق الأخرى، وقد اجتهدت تلك الفرق الضالة المضلة في نشر أباطيلها بين المسلمين

لإضلالهم عن سواء السبيل، ولما كانوا يعلمون أن كل عقيدة لا يؤيدها سَنَدٌ علمي من كتاب الله تعالى أو سنّة رسوله ﷺ لا تجد قبولًا عند أحد من المسلمين، فقد عمدوا إلى كتاب الله تعالى فجعلوه عضين، ونبذوا محكماته التي هي الأصل والمرجع وراء ظهورهم، وعكفوا على الآيات المتشابهات منه بعد أن نزعوا عنها ولاية المحكمات يحاولون إرغامها على تأييد آرائهم ونحلهم الفاسدة، وأولوها بآرائهم تأويلات لا تستقيم إلا على منطق الحمير، فكانوا بذلك مصداقاً لقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ وصدق عليهم قول رسول الله ﷺ: «فإذا رأيتم الذين يتَّبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذورهم» وعمدوا إلى جمع الأحاديث التي رأوا أنها تشهد لهم دون أن يتوثقوا من صحة متونها، وعدالة رواتها، وصدق عزوها إلى النبي ﷺ.

وساعدهم على ذلك الجهلة من حَشَوية المحدثين، فجمعوا من الأحاديث الغريبة ما توهموا أنه يؤيد نحلهم، وفاتهم أن كل تأويل للمتشابه لا يشهد له المحكم فهو باطل، وأن أحاديث الآحاد لا تفيد اعتقاداً على فرض صحتها، فكيف إذا كانت ضعيفة أو موضوعة، وخرجوا على الناس بصور غريبة من المعتقدات زعموا أنها معتقدات السلف، والسلفُ براء منها، وانتحلوا لأنفسهم بها صفة الإمامة، فكانوا مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾﴾.

ولعمري لقد كان التناقض عجيباً بين تلك الطوائف التي زعمت أنها تدين بالإسلام وهي على طرفي نقيض في التعطيل

والتجسيم، التعطيل الذي قال به جهم وأصحابه، والتجسيم الذي قال به محمد بن كرام وأتباعه، وغيرهم من غلاة الشيعة والروافض، ولكنها الأهواء الشاردة تلعب بعقول الناس فتضلهم عن سنن الحق وسواء السبيل.

فأما جهم وأصحابه فقد كان من الجبرية الخالصة، ظهرت بدعته «بترمذ» وقتله سالم بن أحوز المازني «بمرو» في آخر ملك بني أمية، وكان مغالياً في تعطيل صفات الله تعالى، فنفى أن يوصف الله تعالى بصفة يوصف بها خلقه لأن ذلك يقتضي تشبيهاً، فنفى كونه حياً عالماً، وأثبت كونه قادراً فاعلًا خالقاً لأنه لا يوصف شيء من خلقه بالقدرة والفعل، وقد دلّ الخبيث بقوله ذلك على أنه مجنون مسلوب العقل، إذ كيف يوصف بالقدرة من لم يكن حياً، وقد أكفرته الأمة لأنه أنكر صفات الله الثابتة بصرائح الآيات القرآنية المحكمة، ألم يقرأ قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ وقوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾﴾ وكان جهم مع ضلالاته هذه وغيرها مما لا يتّسع المقام لذكره يحمل السلاح ويقاتل السلطان، ويستبيح دماء المسلمين، وتلك صفة لازمة لكل صاحب نِحْلة باطلة، نجد قلبه مليئاً بالحقد على المسلمين، وحب ممالأة أعداء الدين فلعنة الله على الظالمين.

وبينما كانت بلاد خراسان تسري فيها ضلالات هذا الرجل الخبيث سريان السموم في الشرايين، كانت غيرها من البلاد تضجُّ بضلالات أخر تقابلها مقابلة التضاد، وهي ضلالات المجسّمة والمشبهة من غلاة الشيعة والحشوية والكرامية وغيرهم.

فأما الحشوية من أصحاب الحديث فقد صرَّحوا بالتشبيه مثل الهشاميين من الشيعة، ومثل نصر وكهمش وأحمد الهجيمي، الذين قالوا إن معبودهم صورة ذات أبعاض إما روحانية وإما جسمانية، يجوز عليه الانتقال والنزول والصعود والاستقرار والتمكين وغير ذلك، وزادوا في الأخبار أكاذيب وضعوها ونسبوها إلى النبي ﷺ، وأكثرها مقتبسة من اليهود فإن التشبيه طبيعة فيهم، ومن يقرأ كتاب «العهد القديم» الموجود بأيديهم الآن يتبين له أنهم يعتقدون في إلههم أنه على صورة الإنسان، وله خواص الإنسان وصفاته، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، فقد نسبوا إليه الندم والنسيان والجهل بعاقبة فعله إلى غير ذلك مما يعلم من «سِفر التكوين»، والمؤرِّخ الناقد والباحث البصير لا يعزب عن علمه معرفة العلاقة بين معتقدات اليهود ومعتقدات المجسّمة من هذه الأمة، فإن النسب بينهما ظاهر، والتولد لائح لكل ذي عينين.

وأما الكرامية أتباع أبي عبد الله محمد بن كرام فقد بالغوا في التجسيم كما بالغ جهم في التعطيل، فزعموا أن معبودهم جسم له حد ونهاية من تحته والجهة التي يلاقي منها عرشه، وأنه مماس للعرش من الصفحة العليا، وقد زعم ابن كرام في بعض كتبه (وهو كتاب عذاب القبر) أركسه الله فيه، أن الله جوهر كما زعمت النصارى، وقد تحاشى أتباعه إطلاق لفظ الجوهر عليه مع تصريحهم بأنه جسم، كما تحاشى الروافض من إطلاق لفظ الجسم عليه مع قولهم إنه على صورة الإنسان، وزعم ابن كرام في كتابه هذا أن الله مماس لعرشه، وأنَّ العرش مكان له، إلى أمثال ذلك من الهذيانات التي تدل على أن قائلها مغرق في الكفر مطبق الجنون.

وإن تعجب فعجب أن تجد بعض الحشوية من جهلة المحدثين قد انتزعوا من غرائب الأخبار صورة إنسان مبتور الرأس زعموا أنها صورة معبودهم، وذلك يدل على أنهم كانوا يتكلمون بلا رؤوس مفكرة فصوَّروا إلههم بصورة أنفسهم.

كان انتشار هذه الضلالات التي روَّجها أصحاب الأهواء من الفرق المبطلة مثيراً لحركة علمية عنيفة قام بها علماء الأمة الأعلام من جهابذة وصيارفة الأخبار، ومن فحول النظَّار والمتكلمين، لدفع شبه المبطلين، وصيانة معتقدات المسلمين، حتى قضوا عليها قضاءً مبرماً، ودمغوها بواضحات الحجج والبراهين، وكان في طليعة الكتيبة الأولى من كتائب أهل الحق الإمام الحافظ الحجة الثبت أحمد بن الحسين بن علي البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨هـ، فقد كبت كيدهم ورد زيغهم في كتابه: «الأسماء والصفات» الذي هو نسيج وحده في بابه، وفي طليعة الكتيبة الثانية الإمام النظَّار المتكلم الأصولي سيف أهل السنة في رقاب الملاحدة أبو بكر الباقلاني رحمه الله، والأستاذ الإسفراييني وإمام الحرمين، ومن بعدهم الإمام الرازي فخر الدين صاحب التفسير الكبير، ورمز العبقرية الإسلامية في العصور الوسطى، وغيرهم من الأشاعرة والماتريدية الذين لا يحصى لهم عد، ولا يجحد لهم فضل: «هم القوم كل القوم يا أمَّ مالك».

وقد مات أصحاب تلك الضلالات فماتت بموتهم، واستراحت الأمة الإسلامية من كيدهم، ولكن قضى الله ألا يعدم الباطل في كل عصر أذناباً يفتحون بضلالهم باب الجهاد العلمي في سبيل الله لعلماء الأمة الأعلام، المخلصين لله ولرسوله ولدينه